العقائد الإسلامية

لن نَتكلَّم عن أركان الإسلام ولكن بالأكثر عن كيفية تجميع العقائد التي يؤمنون بها كما لو كانت بُنودًا للإيمان الذي يعتنقونه، مع كونها لا توجد مُعلنة في صيغة قانونية أو تابعة للسُّلْطَة التَّعليمية مثلما يوجد لدينا (قانون الإيمان أو صِيَغ الإيمان)، ولكن يوجد اِتِّفاق عام حول الأشياء التي يؤمنون بها.

السورة الثانية - رقم ٢٨٥ - سورة البقرة.
آمن الرسول بِما أُنزِلَ إليه مِن رَبِّه، والمؤمنون كُلٌّ آمن بِاللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِه ورُسُلِه، لا نُفَرِّق بين أحد مِن رُسُلِه، وقالوا سَمِعنا وأَطعنا غُفرانَك رَبَّنا وإليك المَصير.
- بِاللهِ
- بِملائِكتِه
- بِكُتُبِه
- بِرُسُلِه

لقد أُخِذَت مِن هذه السورةِ العقائدُ الأربع الأكثر أهمية. أما الاثنتين الأُخرَيَيْن فقد أُخِذَتا من مقاطع أخرى من القرآن:
١- **وَحدة وأحادِية الله:** ليس به انقسامات. ليس له شركاء ولا امتزاجات. الله هو شيء واحد.
٢- **الكتب التي أَعلن عنها.**
٣- **الرُّسُل والأنبياء**
٤- **الملائكة:** ويتضمنون المبعوثين والوكلاء: وذلك نوع آخر من الأشياء التي يؤمنون بها.
٥- **الأخِرَوِيَّة الإسلامية** escatologia islamica: يومُ الدِّين (أي الدَّيْنونة)، القيامة ، المَصائر (الأماكن) في السماء وفي جَهَنَّم.
٦- **القرارات (المراسيم) الإلهية** (كُلِّية العِلم وكلّية القدرة).

هناك فروق كثيرة بين مختلَف قوانينِ الإيمان الإسلامية. كانت القرون الأولى بمثابة عمل تَحضيري وتفسيري، ولكن يبدو أن هذا العمل قد تَوقَّف في وقتٍ ما. على المستوَى اللاهوتي أيضًا كان هناك عهدُ ازدهار ثم توقفوا عند هذا الحد. لم يعد هناك تطور لاهوتي لاحق. كما أن المدارس الكبيرة كانت بينها فروق، خصوصًا في عهد الأبحاث الفلسفية الواسعة المدى.
ولكننا على كلِّ حال سنرى قوانين الإيمان الأكثر، أهمية المقبولة من الجميع [١].

١- سنتبع عرض س. حَنيف، *ما الذي يجب أن يعرفه كلُّ واحد عن الإسلام والمسلمين*، منشورات كازي- شيكاغو – ١٩٨٢. سَنُقَدِّم رؤيتنا نحن، ونقدَنا واعتراضَنا على فكر الكاتبة.

١- وَحدة وأحادية الله

إن نقطة الانطلاق لكل الإيمان الإسلامي هي الشهادة بأنَّ: لا إلهَ إلا الله ومحمدًا رسول الله.
وهي صيغة توكيد مُطلَق، خصوصًا بالنسبة للجزء الأول.
لا إلهَ: منصوب بلا النافية للجنس وهي تُفيد النفيَ المطلَق.
إلا: تعبّر عن الاستثناء.

"ليس هناك"، وهنا تَكمن القوة. ولذلك فإن الله بعيد، وليس هناك شيء يمكنه أن يَتَشَبَّه به أو يقترب منه أو يُبَشَّر به، بحسب ما يعتقدون هم، سِوى وجوده نفسه وبعض من أسمائه.

إن هذا التعبير عن الإيمان بأحادية الله وبوَحدته، وكذلك الإيمان برسالة محمد، هي جِذرُ كل الحركة الإسلامية.

الجزء الأول من الشهادة: أحادية ووَحدة الله
إن الجزء الأول من الشهادة لا يؤكِّد فقط أحادية ووحدة الله بل يتضمَّن أيضًا سُلطانَه وسُلطاتِه الكَوْنية.
ليس هناك خالق آخر ولا ضابط آخر للكون ولا مُشَرِّع آخر للقوانين ولا سلطة أخرى أعلى.

بحسب هذا الاعتقاد كيف يكون ممكنًا إذًا معرفة الله؟

وفي عصرٍ يزداد فيه ضَياع معنى الوجود ومعنى الحياة، كيف نتعرَّف إذًا على وجود الله؟ مِن المؤكَّد أنَّه بالنسبة للإنسان يكون من المستحيل معرفته بما أنَّه خارجٌ تمامًا عن واقع الملاحظة البشريَّة وعن امكانيَّات عقله. وحتى عندما ينجح بعضهم في التكهُّن ببعض هذه الحقائق فإنهم لا يجدون طُرقًا مؤكدة للتحقُّق منها.

إن ذلك لَطابَعٌ مُمَيَّزٌ للاسلام، ونعني فهم الشيء الفائق للطبيعة على أنه يستحيل الارتباطُ به، حتى فيما يخصُّ المعرفة الطبيعية عن الله، فيما عَدَى ما أعلنه هو نفسه. فالمعرفة الطبيعية لله كما نفهمها نحن - والتي يشهد لها الكتاب المقدس مؤكِّدًا على وجودها، سَواء في العهد القديم أو الجديد[٢] - ليست موجودة عندهم. هناك لَبْسٌ فيما يختصُّ بمعرفة الله. (*لبس* = مفاهيم غير مُتوافِقَة، فهي تعني أشياءَ مختلفةً إذا تَمَّ تطبيقها على واقع ما أو على آخر؛ مِثلما كلمة عَلَم قد تعني اسم شخصٍ أو قد تعني قطعة القماش الذي ترمز إلى بلدٍ ما، وذلك بدون أن توجد للمفهومَين أو الواقعَين اللَّذَيْن يشير إليهما اللَّفظ أيةُ صلةٍ فيما بينهما؛ إنهما ببساطة يتطابقان في كلِّ الحروف والملافِظ) ليست هناك طريقة للتحقق من وجود الله بواسطة العقل أو من خلال تشبيهات، إذْ أنَّ كل الوسائل الطبيعية هي غير فعالة. إن الواقع الإلهي مختلف لدرجة أنه لا يمكن تشبيهُه بأي شيء. إنها مفاهيم سحرية أيضًا لأنها لا تعني نفس الشيء في اللغة البشرية. ولذلك يستحيل التبشير.

٢- بالنسبة للعهد القديم، راجع حكمة ١٣، خاصة ٥/١٣. وفي العهد الجديد، راجع روم ٩/١ إلى ٦/٢.

بالنسبة لنا نحن فإن المِفتاح يكمن في التشابه (ومعنى هذه الكلمة الأصلي يعني الشَّبَه أو المماثلَة).

المعرفة المماثلة: ليسا شيئَين متساويَين، فإذا ما قورِنا جَوْهَريًّا يكونان مختلفَين، ولكنهما متماثلان أو متساويان في مظهر ما. مثلاً عدالة الله وعدالتنا. إنهما شيئان مختلفان جوهريًّا، ولكنهما متشابهان في بعض المظاهر. ونفس الشيء لصلاح الله ولصلاحنا (هو شيء جوهري عند الله أما عندنا فهو شيء عارض بمعنى أنه فضيلة). ومع ذلك يمكننا أن نعلن نفس الاسم ونفس الواقع لأن هناك شيئًا ما يوَحِّدُهما. وبالتالي فإن ذلك يسمح بالوعظ وبالمعرفة.

بالنسبة للمسلم، كلُّ ما يُمكن أن يوعَظ عن الله هو عبارة عن لغة بشرية؛ ولذلك فإنهم لا يستطيعون أن يفهموا - مثلاً- أن يتخذ الله ولدًا لأنهم يفهمون ذلك بحسب النماذج البشرية. ولا أن يفهموا كذلك أن يكون الله واحدًا وثالوثًا. وإنهم لا يفهمون أنه يمكنه أن يكون واحدًا بمعنى وثالوثًا بمعنى آخر. إذًا تصير الطريقة الوحيدة البشرية للحصول على معرفة سليمة هي أن يَتفضَّل منبع كل إرادة وقدرة الذي هو الله (أي الله بذاته) فيمنحَنا معرفتَه وذلك من خلال الوسائل التي يريد أن يستخدمها هو. هذا هو معنى الجزء الثاني من الشهادة.

الجزء الثاني من الشهادة: إعلان الله

يوجد في الإسلام الاعتقاد بأن الله زرع في الإنسان خبر وجود الله (المعرفة الفِطريَّة بأنه يوجد كائن لا جسم له وسامٍ خلق الإنسان والعالم الذي مِن حوله).

إنَّ كلَّ الشعوب كانت لها معتقدات مختلفة فيما يختص بالله، ولكن لم يوجد أبدًا إنكارٌ جذريٌّ وعامٌّ لوجوده؛ وهم يُرجِعون ذلك *لفكرة فطرِيَّة عن وجوده*[٣].

فطرِيَّة: بمعنى عدم وجود عمل عقلي اِنطلاقًا من الواقع للوصول إلى معرفة الله بواسطة التَّناظُر أو التشابُه. إنها فكرة فِطرِيَّة، مُكَوَّنَة من قَبْل أيّ تفكير أو معرفة. وذاك هو بالضبط ما يُشَكِّل أساس الفلسفة العقلانية (racionalista) (لديكارت). بهذا المعنى نستطيع أن نقول أنه يوجد لدى الإسلام حكمٌ مُسْبَقٌ أو تَحامُلٌ على العَقلانية نوعًا ما. فتكون المقدرة العقلية الموضوعية عاجزة عن معرفة الله، وإنما توجد فكرة فِطرِيَّة لدى كلِّ إنسان. وهذا يسمح بقبول الإعلان الإلهي بطريقة أسهل. ولكن لا يوجد جِسرٌ وَسيطٌ بين هذين المستويين.

العكس تمامًا يوجد لدى الفلسفة الدائمة: فالفكر البشري يُولَد "كَلَوْحٍ ناصِعٍ" (أي بدون معارفَ سابقة)، ولكن تُصاحبه مقدرة على التقدُّم في معرفة الواقع (مثل الطفل الذي يتقدم في التعلُّم من خلال طَرْحِهِ للأسئلة ومن خلال الإختبار)، وانطلاقًا من الواقع، بالمناظرة، يكون مِن المُمكن التَّوصُّل إلى معرفة الله. وهذا يتوافق أكثر

٣- لاحِظ كيف أن نفس الحُجَّة يمكن أن تُستخدم (وقد استخدمت بالفعل في الفلسفة المسيحية) لكي تؤكِّد أنه من الممكن ايجاد *معرفة طبيعة عن الله* ولكن بطريقة عقلانية وليس بِأفكار فِطرِيَّة. إن هذه الحُجَّة لا تُثْبِت أن الفكرة عن الله لدى الإنسان تكون فِطرِيَّة، إنما تُثبِت فقط – تاريخيًّا – أن الكائن البشري قد استطاع أن يتوصل إلى معرفة وجود الله، حتى من خلال التفكير الطبيعي.

مع الطبيعة العقلانِيَّة للكائن البشري. وعلى العكس فإن الفِطْرِيَّة بالأَحرَى هي شيء يختص بالملائكة وليس بالإنسان.

وبالتالي، فبالنسبة لهم، إنَّ الرِّسالة قد اِختارت كثيرًا مِن الأفراد لكي تُعلِنَ عن نفسها بطريقة أَكمل خلال التاريخ. وقد ضاع جزءٌ كبير من هذه الرسالة بسبب الخطإ البشري، ولكن إلى الآن بَقِيَ شيء كافٍ من الكتابات الأولى وتعاليم الأنبياء أمثال إبراهيم ويسوع، إلخ. لقد كانت الرسالة المُوجَّهَة واحدة في أساسها وغير مُتَغَيِّرة على مَرِّ التَّاريخ:

- هناك كائن هو سيد ومدير للخليقة.
- وهو مُشَرِّع: فالله يعمل في الخليقة ويضع القوانين لإدارة وقيادة الكائنات البَشَرِيَّة.
- وكل إنسان هو مسؤول (عليه التزامٌ) أمام هذا الكائن عن تَصَرُّفه في الحياة.

هذه هي النِّقاط الثلاث الخاصة بالإعلان والتي أوصلها تِباعًا كلُّ المرسلين من الله.

فإذا كانت هناك فكرة فِطْرِيَّة عن الله، كيف يكون من الممكن إذًا القَبول بِوجود شعوبٍ قد نسوه؟ إن ذاك اعتراض آخر على الفِطْرِيَّة. إنهم يحاولون البحث عن أسباب. فهم لا يؤمنون بالطبيعة السَّاقطة (التي أُضعِفت بسبب الخطيئة)، وبالتالي فهم يتكلَّمون عن ظلمات الخطإ وعملِ الروح الشرِّير، إلخ. ولكن إذا كانت هذه المعرفة فِطْرِيَّة فكيف تظلُّ مَنسيَّة. وعلى العكس، إذا تم التوصُّل إليها بواسطة عمل العقل فيكون مفهومًا أنَّ تأثير الخطيئة الأصلية تسبَّب في أن كثيرين لم يَتمكَّنوا مِن أو لا يُمكنهم أن يتوصلوا إلى هذه المعرفة بدون خلطها بالأخطاء.

إن الإسلام لا يدَّعي كونه ديانة جديدة بل الديانة الأصلية أو الأوّلِيَّة. إذ أنَّ البشر الأوائل كان لديهم الإيمان الأَوَّلي. والإسلام يتمثَّل في العودة إلى الإيمان الأوّلِيّ الذي تَشَوَّه خلال التاريخ. فهو الرجوع إلى هذه الديانة الأولى. ولذلك يتكلَّمون عن طهارة الإسلام؛ فنزول القرآن مِن السماء يجعله محفوظًا كما هو ولا يمكن تَدنيسُه. إنها ديانة *التسليم والخضوع* للإله الواحد. ديانة الخضوع والاستسلام: وهذا هو معنى كلمة إسلام. ذلك ليس قَبولاً حُرًّا:

- فإذا كانت هناك فكرة فِطْرِيَّة فإنها ليست نتيجة تفكير عقلاني، بل هو يمتلكها ويجب عليه أن يخضع لها.
- وأيضًا يقال أن هناك استحالة لمعرفة الله بطريقة عقلانية. وبالتالي لا يُوجد أيُّ مجالٍ لأيّ نوعٍ من أنواع البحث ولا القَبول.
- وفي المقام الثالث فإن هذا الإعلان كان دائمًا هُوَ هُوَ، ولكنه قد تَدَنَّس عَبْرَ القرون، والآن يعود إلى طهارته بواسطة القرآن؛ ولذلك يحتاج فقط إلى التسليم به (الاستسلام له). من هنا يأتي التشكك من نقص التسليم. فذاك يناقض الإنسان نفسه.

السورة رقم ١١٢، ١-٤: العبادة الأَمينة

قل: "هو الله أَحَد! الله الصَّمَد! لم يَلِد ولم يُولَد، ولم يكن له كُفُوًا أحد!"

فكلمة "يَلِد" تُفَهم بمعنى جسدي. ومن هنا يأتي الفَهم الخاطئ حول أُبُوَّة الله وحول الثالوث. فالفعل "يَلِد" يُعَبِّر عن ولادة جَسديَّة، ويَنتج عن ذلك الفَهم الخاطئ الذي لَدَيهِم تُجاه المسيحية. لا يمكنهم فَهْمُه.

السورة ٥٧، ١-٦: الحديد

سَبَّحَ لِلّه ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. له مُلك السماوات والأرض، يُحيِي ويُميت، وهو على كلِّ شيء قدير. هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيءٍ عليم. هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيامٍ ثُمَّ استوى على العرش، يَعلم ما يَلِجُ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل مِن السماء وما يَعْرُجُ فيها، وهو معكم أينما كُنتم، والله بما تَعملون بَصير. لَهُ مُلك السماوات والأرض وإلى الله تُرجَع الأمور. يُولِج الليل في النهار ويُولِج النهار في الليل، وهو عليم بذات الصُّدور.

وعادةً ما تَتبع الأسماء هذا الخط من الحكمة المتناهية والقدرة:

السورة ٥٩، ٢٢-٢٤: الحَشْر

هو الله الذي لا إلهَ إلا هو، عالِم الغَيْب والشهادة. هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو، المَلك، القُدّوس، السلام، المؤمِن، المهَيْمِن، العزيز، الجبَّار، المتكبّر، سُبْحانَ اللهِ عما يُشرِكون. هو الله الخالق، البارئ، المُصَوِّر، له الأسماءُ الحُسنَى، يُسبّح له ما في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم!

بالنسبة لهم يُوجد مَجالان للواقع:

- *الغَيْب* (ما لا يُرى)
- *الشَّهادة* (ما يُشهَد له، الشيءُ الجَلِيُّ الذي يمكن أنْ يُشهَد له). وعقائد الإيمان تتعلَّق بالمجال الأوّل، أي بما لا يُرَى.

في الإسلام يُقبَل وجودُ نوع مِن <u>*حرية الاختيار*</u>؛ وليس فقط فيما يختص بالاختيارات الفَردِيَّة التي يقوم بها الشخص فيما يختص بالأشياء الكبيرة أو الصغيرة، ولكن المقصود هي تلك الاختيارات التي تعتمد على الاختيار الأساسي والمركزي الذي يُوَجِّه كلَّ الكيان. أي تحديد مَن هو الرَّب وإلى مَن سيعطي حياته وفيمن يضع اتكاله ومَن سيَخدِم ومَن سيُطيع. هناك إمكانية اختيار ولكنها ليست سوى أشكال من الاختيار الأساسي. فموضوع الحرّية ليس واضحًا. هناك نوعٌ من <u>التَّحديد</u> (determinismo). فالاختيار يكمن في أنْ يكون الفردُ إمَّا عبدًا للقيم البَشَرِيَّة أو عبدًا لِرَبِّ الناس الحقيقي. أن يكونوا راضين عن الحياة وعن عمل الأشياء الصغيرة فحَسْب، أو أن يكرّس المرءُ

نَفْسَه للعيش وللعمل من أجل ذاك الوحيد المُستَحقَّ لهذه العبادة مِن قِبَلِ الإنسان. فالوحيد الذي يمكنه أن يعطي معنى للحياة البشرية هو الله.

ولذلك فهناك إمكانيتان أمام الإسلام: إما الانسجام مع الأشياء البَشريَّة، أو الاستعداد – عن وَعْيٍ- لِلاتِّحاد بمعاييرَ وشرائعَ الله.

السورة ٦، ١٦٢- ١٦٥: الأَنعام

قُلْ "إنَّ صلاتي وَنُسكي ومَحْيايَ ومَماتي لله ربِّ العالَمين، لا شريك له، وبذلك أُمِرتُ وأنا أول المسلمين. قُل أَغَير الله أَبغِي ربًّا وهو ربُّ كل شيء، ولا تَكسبُ كلُّ نَفْس إلا عليها ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أُخرى، ثم إلى ربكم مَرْجِعُكم فيُنَبِئُكم بما كنتم فيه تختلفون، وهو الذي جعلكم خلائِفَ الأرض ورفع بعضَكم فوق بعضٍ درجات لِيَبْلُوَكُم في ما آتاكم. إن ربك سريع العِقاب، وإنه لَغفور رحيم".

٢- الملائكة

السورة ٨٢، ١٠-١١: الإنفطار

وإنَّ عليكم لَحافِظين، كرامًا، كاتبين، يَعلمون ما تفعلون.

فالملائكة تُسَجِّل كل أعمال الإنسان. وهو يُسَمِّيهم أيضًا حافِظين حارسين.

السورة ١٦، ٢: النحل

يُنزل الملائكة بالروح من أمره، على مَن يشاء مِن عِبادِه، أنْ أَنذِروا أنه لا إله إلا أنا، فاتقُّوني.

السورة ٢، ٢٨٥: البقرة

آمَن الرسول بما أُنزِل إليه مِن رَبِّه، والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نُفرِّق بين أحد من رُسُله. وقالوا "سمعنا وأطعنا، غُفرانَك رَبَّنا وإليك المصير".

مِن الواضح أن الله الكُلِّيَّ القدرة يمكنه أن يَخلق أيَّ نوع مِن المخلوقات. فقد خلق تنوُّعًا كبيرًا يشمل كثيرًا من أنواع الطبيعة والشكل (المظهر). فالبشر ليسوا الكائنات الوحيدة العاقلة. هناك نِظام آخر من العُقلاء وهم الملائكة. فهم يتصرَّفون كوُكلاء لله ويخدمونه بطرق عديدة. وهم مخلوقون مِن نور ومختلفون عن البشر. ليست لديهم إرادة حرة. فموضوع الإرادة الحرَّة فيه لَبْسٌ في الإسلام. ويَبدو أن الكائنات الأكثر كمالاً مثل الملائكة ليست لديها هذه الإرادة الحُرَّة. كيف يمكن شرح ذلك؟ السبب هو أنَّ الحُرِّيَّة في الإسلام ليست كمالاً، إنها مجرَّد مَقدرة على الاختيار، وشيءٌ خاصٌ ببعض الكائنات والتي هي غير كاملة نوعًا ما. وبالعكس، بما أن الملائكة هي أكثر كمالاً

(فهي ليست كائنات شخصية بل منبثقة مِن الله أو شيء من هذا القبيل) فليس لها حرّيَّة؛ وبالتحديد بسبب أنَّ الحرية عندهم ليست كمالاً. وعندما يتمُّ الاختيار الرئيسي فليس هناك مجالٌ لمزيد من الحرية مِن بعد.

بالنسبة للمسيحية وللفلسفة المستديمة، فإنَّ الحرّيَّة هي مَلَكَةٌ خاصة بالإرادة. وهي تصل إلى الكمال بقدر ما تختار الخير. وحتى في السماء، فإن القدّيسين يحتفظون بِحرّيَّتهم لِأنَّهم يستمرون في اختيار الخير إلى الأبد. إنَّ من خصائص الإرادة أن تصل إلى الكمال بواسطة اختيار الخير.

هذا المفهوم الخاطئ عن الحرّيَّة ينعكس في الواقع. فبالنسبة للمُسْلِم يكون الخضوع أكثر كمالاً من الاختيار الحر. بينما نحن نعلم في الواقع أن هذا الأخير هو ما يعطي الإنسان الكرامة؛ من أجل ذلك فهناك أشياءُ لا يستطيعون الكلام عنها لأنَّها تخيفهم.

ملائكة: كائنات من نور، بدون أيّ نوعٍ من التكوين المادّي، وليست مُزَوَّدة بإرادة ولا باختيار حُرٍّ. هي كلُّها خاضعة تمامًا لله.
الجِنُّ: كائنات مِن نار، مصنوعة مِن نار. هم الجِنُّ (جمع جِنّيّ). لديهم شيء شاذٌّ، نوعٌ من الشكل الخارجي (étereo). وعندهم حُرّيَّة الاختيار. بعضهم صالحٌ وبعضهم شرّير. والشيطان واحد من هذا النوع – بحسب رأيهم – والشياطين هم من الجنّ وليسوا ملائكة ساقطين. ففكرة *السقوط* غير موجودة في الإسلام، وكذلك بالنسبة للخطيئة الأصلية. حيث أن خطيئة آدم وحواء لا تنال أهمية كبيرة، فهي كانت خطيئة شخصية فقط حتى مع كونها أول خطيئة في التاريخ. ليست هناك طبيعة ساقطة ولا احتياج للفداء، إلخ.

وقد سَمَحَ الله لبعض الجنّ بِأن يجرّبوا الإنسان فيَحمِلونه على عدم الخضوع لله. ولكن مَن يُركِّزون حياتهم في الله يمكنهم رَدْع هذا الهجوم. فإن مَن يكون في حالة تَمرُّد يكون واقعًا في حبائل الشيطان.

السورة ١١٤، ٤-٦: الناس
... مِن شرّ الوَسواس الخَنّاس الذي يُوَسْوس في صدور الناس، مِن الجِنَّة والناس.

هناك نوع من *الطَّبيعيَّة* في الإسلام: لا توجد خطيئة أصلية ولا توجد النعمة ولا الحاجة إلى الخلاص. فالمرسَل هو مُرشِد، وبعد ذلك يُرَتّب كلُّ فردٍ أمورَه مع الله. ويتم الوصول إلى السماء بواسطة الرحمة أكثر مما يتمُّ عن طريق المشاركة الذاتية. فيكون الإسلام من خلال هذا المفهوم مُتاشيها بدرجة كبيرة مع البروتستانتية؛ إذ يتم إبعاد وِساطة الكنيسة وبالتالي وِساطة المسيح فلا توجد نعمة ولا أسرار ولا خطيئة أصلية. فالبروتستانت يعتبرون أَنَّ الطبيعة فاسدة في حَدِّ ذاتها (وليست ساقطة)، ولذلك فإن البشر لا يُمكنهم أن يعرفوا الله بطريقة مناسبة. إنَّ لوثِر يناقض مفهوم التَّناظُر. فالعقل قد أُصيب لدرجة أنه لا يمكنه أن يتعرَّف على الله ولذلك يجب انتظار خلاص الله بطريقة خارجية (بدون أيّ نوعٍ من المشاركة أو الاستحقاق البشري). يجب أن يحاول المَرء أن يكون

صالحًا، ولكن ذلك ليس لكي يعطيني استحقاقًا ولكن لكي يُخلّصني الله بهذه المناسبة ويستنزل عليَّ من الخارج استحقاقات المسيح. ولكن ليس بسبب أنني أَتَّحِد بموته بواسطة النعمة. فليس هناك *تَحوُّل داخلي*؛ ولذلك يكون الإيمان مُهمًّا، هذا يخلِّص. فعندما أؤمن فإنَّ الله يستنزل عَلَيَّ اِستحقاقات المسيح. وذلك متشابه جدًا مع الإسلام. يُوجد بينهما فرق ثقافي، ولكن في العمق نجد نفس الفكرة اللاهوتية. ففي الأخلاقيات الإسلامية تكون الفضائل موجودة فقط في الأشياء الوَسَطِيَّة. أما المبالغة فهي مُحْتَقَرة؛ فهم مثلاً يَرذُلون الشَّهوانية، ولكنهم يَرذُلون كذلك ضبط النفس. يرفضون البُخْل، ولكن أيضًا الجَزْلَ في العطاء كمبالغة. الوَسَط بحسب ما يفسِّرونه هم، حيث أنهم بعد ذلك يَقَعون في مبالغات أفظعَ عند التطبيق العملي.

المُرسَل الأكثر شُهرة بين الملائكة هو جبرائيل: *الروح*، *الروح القدس*، *الروح الأمين*. فهم يعتقدون أنه من الجائز أن يكون المسيحيون قد التبس عليهم الأمر فوقعوا في خطإٍ تفسيري بسبب تأثُّرِهم بالمعتقدات الوثنية، فاتَّخذوا هذا التعبير ليشيروا به إلى الروح القُدُس - الأقنوم الثالث -، وذلك في رأي تلك الكاتبة. فهم لم يفهموا بماذا كان المسيحيون يؤمنون فيما يختص بالثالوث؛ ففي ذاك الوقت كانت هناك هرطقات كثيرة، وكانوا يعرفون ما يعرفونه عن المسيحية من خلالها.

٣- الكتابات المُعلنة من الله

السورة ٤٦، ١٢: سورة الأحقاف

ومِن قَبلِهِ (أي القرآن) *كتاب موسى إمامًا ورحمةً، وهذا كتابٌ مُصَدِّقٌ لِسانًا عربيًّا لِيُنْذِرَ الذين ظلموا وبُشرى للمحسنين.*

فالقرآن يؤكد شريعة موسى باللغة العربية:

السورة ٥، ٤٦: سورة المائدة

وقَفَّينا على آثارِهم بعيسى ابنِ مَريم مصدِّقًا لِما بين يديه مِن التوراة، وآتَيْناه الإنجيلَ فيه هُدًى ونور ومُصَدِّقًا لِما بين يَدَيه مِن التوراة وهُدًى وموعظةً للمُتَّقين.

فالقرآن يؤكد الكتابات السابقة عليه. والإنجيل كان تأكيدًا للتوراة والقرآن هو تأكيدٌ للإنجيل.

السورة ٣، ٣-٤: سورة آل عمران

نَزَّل عليك الكتاب بِالحقِّ مُصَدِّقًا لِما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل مِن قبلُ هُدًى للناس وأنزل الفُرقان. إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام.

فالوحيد الذي هو شامل ومطلَق هو القرآن. الإعلانات السابقة لم تكن شاملة، لكنَّ القرآنَ فقط هو كذلك. هم يرتكزون أيضًا على متى ١٥/٢٤ (عندما يناسبهم لا يكون الانجيل حينئذ مُحَرَّفًا) "لم أُرسَل إلا إلى خِراف إسرائيل الضَّالة"؛ فيقولون: إذًا رسالة يسوع لم تكن عامة. وحتى عندما يقول أحدُ الإنجيليين: إلى كلِّ الأرض (أعمال ١/٨)، فهم يقولون أنه يشير إلى إسرائيل (على الرَّغم من أن الكلمة في اليونانية هي الأرض كلُّها). ويقول أيضًا إنجيليٌّ آخر: "كلّ الأمم" (متى ٢٨/١٩-٢٠). لقد كان رَبُّنا يُحدِّد رسالته الشخصية في خراف إسرائيل؛ ولكن هذا لا يعني أن نِيَّتَه لم تكن عامَّةً شاملة، وقد قام بالفعل بشفاء بعض الأشخاص من شعوبٍ أخرى.

الحُجَّة الأخرى تقول أنَّ القرآن هو الكتابة الوحيدة المُعلَنَة التي حُفِظت إلى وقتنا هذا بصورتها الأصلية تمامًا. على عكس التوراة والمزامير (وتظهر في القرآن مشارًا إليها بكلمة "زَبُور"، وهي كلمة حَبَشية) والإنجيل، وهي كتابات وإن كانت دائمة إلى الآن إلا أنها قد اختلطت بأشياء بَشَريَّة وبتحريفات؛ فمن الصعب جدًّا إذًا معرفة الشيء الأصلي فيها، ولذلك ليس من الممكن أخذُها كمرشدٍ للحياة.

إن لغة القرآن العربية لا يمكن ترجمتُها. فالإسلام ليس له معجزاتٌ وعلاماتٌ مثلُ التي تقول الديانات الأخرى أنها تَملِكها. ومع ذلك فإن عظمة وسُمُوَّ لغة القرآن يراها كثيرون أعظم معجزة. وبالنسبة لهم هذا دليل على ألُوهية القرآن.

٤- رُسُل الله

السورة ١٦، ٣٦: سورة النحل

ولقد بعثنا في كلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أنْ اُعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هَدَى اللهُ ومنهم مَن حَقَّت عليه الضلالة. فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبةُ المُكَذِّبين.

فيؤكِّد أنَّه كان هناك إرسال للرسل. ويظهر ذلك بطريقة أوضح في:

السورة ٢، ١٣٥-١٣٦: سورة البقرة

وقالوا كونوا هُودًا أو نصارى تَهتدوا. قُل بَل مِلَّة إبراهيم حنيفًا، وما كان مِن المشركين. قولوا آمنَّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أُوتِيَ موسَى وعيسَى وما أوتِيَ النبيُّون مِن رَبِّهم. لا نفرِّق بين أحدٍ منهم، ونحن له مُسلمون.

تؤكِّد الكاتبة أن المفهوم الإسلامي حول النبي يختلف عَمَّا نجده في المسيحية واليهودية (بحسب فَهمِها هي). ففي الإسلام لا تعني كلمة نبي أبدًا الشخص الذي يتنبأ بالأحداث المستقبليَّة (حتى لو لم تكن تعني ذلك فقط في المسيحية، *فالنبي هو من يتكلَّم باسم الله*)، بل يعني شخصًا قريبًا جدًّا مِن الله، وهو يتلقَّى إعلانات إلهيَّة مِن خلال خُضوع كيانه التَّام لله، فيصيرُ مثلَ مرشدٍ للناس.

القوة تنبع من كونه *يَتَلَقَّى إعلانات من الله*. وهذا بالضبط هو ما يُكوِّن النبي. فيكون كذلك مُرشِدًا للناس. فإذا كان الإعلان الإلهي على هيئة *كتابة*، فإن النبي حينئذ يكون بالإضافة إلى ذلك *رسولاً*. وهذا النوع الثاني يفترض وجود الأول. فالبعضُ يكونون أنبياءَ، مثل أنبياء العهد القديم، ولكنهم ليسوا رُسُلاً لأنهم لم يتلقُّوا إعلانًا مكتوبًا. والبعض الآخر تلقُّوا ذلك مثل موسى ويسوع. وقد أُرسِل هؤلاء الرسل إلى مجموعة خاصة من البشر. فلم يكن في نيَّة أيَّة واحدة من تلك الرسالات أن تكون رسالة عامة شاملة، ولا حتى رسالة المسيح. ولكي يُثْبتوا ذلك فهم يأخذون متى ١٥/٢٤ حيث يقول يسوع في رَدِّه على طلب المرأة الكنعانية أنه أُرسل فقط إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. ولكن رَبَّنا يسوع المسيح كان يُبرِز فقط أولويات رسالته، إذ أنه بالفعل يُجري المعجزة بعد ذلك. كما أنهم يتذرعون بِأعمال ١/٨: "لكل الأرض" (كتفويض إرسالي)، ويفهمونه على أنها أرض إسرائيل. فقد كانت الإعلانات السابقة مُخَصَّصَة، وقد أُعطيَ لمحمد فقط الأمر بالتوكيل التام والمهمة الكاملة بارشاد كل البشرية إلى الله. ثم صارت تلك آخر رسالة عامة.

إنهم يعترفون ببعض الأنبياء الآخرين:

آدم: الإنسان الأول، هو وامرأتُه، اللذان كانا في حالة من البراءة الأوَّلية. وقد مارسا صفة حُرِّيَّة الاختيار وعصيا أمْرَ الله. وقد تعلَّما من خلال ذلك عواقب عدم الطاعة. ففقدوا حالة البراءة وحياة السَّلام، ولكن القرآن يحكي أنهما نَدِما وغفر الله لهما، واستعاد آدم بذلك النبوة فصار مُرشدًا لِنفسه ولِنسله. لم يَتَبَقَّ شيءٌ من هذه الخطيئة الأولى؛ فلا يوجد كلام عن خطيئة أصلية تُوَصَّل إلى كلِّ النسل (وبالتالي لا تُوجد حاجة إلى مُخلِّص).

في الواقع نحن نعرف أن الخطيئة كانت خطيئة كل الطبيعة البشرية [٤]. الخطيئة الشخصية شيء آخر. مفهومٌ أنَّ آدم نَدِم، ومن الممكن أن يكون قد غُفِر له، ولكن بقيت خطيئة الطبيعة، حيث توجد معصية مِن قِبَل الطبيعة الساقطة. لا يوجد شيء من هذا كُلِّه لدى المفهوم الإسلامي. وبحسب هذا المفهوم نفسه فإن البشر الأولون كانوا مؤمنين بِإله وكانوا خاضعين له، ولكنهم فقدوا تدريجيًا الإدراك السليم للواقع وصاروا عابدي أرواح أو أوثان حتى بعث الله رسولاً آخر لِيدعُوَهم للحق.

بالنسبة لهم لا توجد طبيعة ساقطة، وبالتالي فإنهم يَنسِبون سبب نسيان الله إلى مرور الزمن. وهو شيء غير منطقي، إذ أن ذلك يعني التأكيد على أن الزمن في حدِّ ذاته هو شيءٌ سيءٌ، أو أنَّ الله فاته هذا التفصيل المُتَمَثِّل في أن البشر سوف يَنسون مع مرور الزمن. وهم لا يعتبرون أن هناك عيب في الإنسان (لا توجد طبيعة ساقطة)، وبالتالي، فإن "نسيان الله هذا" يعود إلى عامل خارجيّ وَقَدَرِيّ بطريقة ما.

مِن المؤكد أن ما تم تَلَقّيه كإعلانٍ أوَّلي قد تم نسيانُه مع الوقت (وهو شيء مذكور بطريقة شعرية جميلة في كتاب الحكمة: الفصول ١٣-١٥). ولكن ذلك ليس بسبب الزمن نفسه بل لأن العيب دخل بسبب الشهوة؛ فالزمن في حدِّ ذاته ليس هو السبب، بل هي الطبيعة الساقطة التي تَهوِي أكثر فأكثر إلى عمق أكبر "كلما مَرَّ الزمن". كما هو مذكور في سفر الأعمال (تَمَرُّد أفسس) حين قال صانعو الأوثان "لقد فقدنا تِجارتَنا..."

٤- روم ١٢/٥: "فكما أن الخطيئة دخلت في العالم عن يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنهم **جميعًا خطئوا**..."

* **نوح**: (نبيٌّ آخر) يأتي برسالة تحذير ولكنه يُرْفَضُ.
* والنبي التالي له كان **إبراهيم**. وقد ولد في بيئة وثنيَّة، ولكنه استطاع أن يُفكِّر في جنون مَن يؤمنون بِالأشياء المصنوعة وسَلَّم لله تسليمًا تامًا لِدَرجة أنَّ الله جعل منه مِثالاً لِكلِّ الأزمنة. وهو أول من ينال لقب "مُسْلِم".
* ثم يأتي بعده سلسلة طويلة مِن الأنبياء: اِبناه: **إسماعيل وإسحق**، ومن نسل الأول سيأتي محمد. ومِن إسحق يأتي **موسى وداود ويسوع** (يُسَمُّونه **عيسَى**). وقد تلقَّى هؤلاء الثلاثة كتابات مُعلنة مِن الله، على الرغم من أنَّه، في أيامنا هذه، بقيت فقط أجزاءٌ صغيرة من النصوص الأصليَّة مُختلَطة بما أضافه الناس عليها كما يُستَنْتَج من دراسة النص الكتابي (بحسب رأي الكاتبة). وبالنسبة لهم، يُغلَق الموضوع هنا حيث أن الكتابات قد حُرِّفت، وبالتالي لا يُمكِن أخذُها كمَرجع.

فالإسلام يؤكِّد أن يسوع كان نبيًّا مُرسَلاً إلى بَني إسرائيل. وكان يَدعو لِطاعة الله بواسطة شريعة موسى، مؤكِّدًا على أهمية الموقف الداخلي وليس على الطقوس الخارجية.

لقد وُلِدَ يسوع من أُمٍّ عَذراءَ بقدرة الله، ولكن هذا لا يؤدِّي عندهم حَتْمًا إلى طبيعة إلهيَّة، كما لم يكن يَتَطَلَّب ذلك بالنسبة لآدَم الذي وُلِدَ هو أيضًا بدون تَدَخُّل من أبٍ. يُوجَد سُوء تفسير لِميلاد المسيح في الإسلام: فهم يفترضون أنَّ المسيحيين يؤكِّدون أنه ابنُ الله لأنه وُلِد بدون تَدَخُّل من أبٍ. ولكن ليس هذا هو السبب الذي يؤكِّد به المسيحيون ذلك، ولكن على العكس: لأنه كان ابن الله فهو قد وُلِد مِن عذراء، إذ أنَّ هذا هو ما كان يَليق به، حتى لا يكون هناك التباس. إننا لا نؤمن أنَّه ابن الله بسبب مَولِدِه مِن عذراء، إذ كان يُمْكنه أن يُولَد بطريقة طبيعية (وكان سيكون كذلك ابنا لله).

بالنسبة للمفهوم الإسلامي، كان يسوع إنسانًا مخلوقًا بطريقة خاصة مِن قِبْل الله. فطريقة فَهم مبدأ ألوهية المسيح تُناقض الرسالة الحقيقية التي جاء هو نفسه بها فيما يتعلَّق بِوَحْدانية الله الذي هو الوحيد الذي يجب أن يُطاع.

إنَّ الفرقَ الرئيسي بين العقيدتين (الإسلامِيَّة والمسيحيَّة) يتمثَّل في طبيعة ودور المسيح. فهو في الإسلام واحِدٌ من أعظم الأنبياء وهم يكنُّون له إكرامًا كبيرًا فهو وُلِد مِن أمٍّ عذراء بواسطة قُدرة الله، وهي نفس القدرة التي أوجد بها الله آدم في الحياة بدون تدخُّل مِن أب. تلك القدرة التي تسمح له بصنع معجزات خلال مُدَّة نُبُوَّتِه: كالقدرة على منح الشفاء وإقامة الموتى واختراق القلوب بواسطة الكلمة التي زَوَّدَه بها الله. وكان قد وَاجَهَ خَطر القتل ولكن الله رَفعه دون أن يختبر الموت.

السورة ٤، ١٥٧-١٥٨: سورة النساء

وقَولِهم إِنَّا قَتَلْنَا المسيحَ عيسَى ابنَ مريمَ رَسولَ اللهِ، وَما قَتَلوه وَما صَلَبوه وَلَكن شُبِهَ لَهم. وَإِنَّ الَّذينَ اختَلَفوا فيه لَفي شَكٍّ منه، ما لَهم بِه مِن عِلْمٍ إِلاَّ اِتِّباعَ الظَّنِّ، وما قَتَلتوه يَقينا بل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَكانَ اللهُ عزيزًا حكيمًا.

يَذكُرون أن هناك آخرَ وُضِع مكانه ليموت على الصليب. وهكذا ينكرون الموت والصَّلب. فلم يكن يليق بِنَبيٍّ من الأنبياء أن يموت ميتَة عارٍ كهذه. هذه هي أقوى الحُجج.

ففي الإسلام هناك رفض لكل ما هو ألم وإنكار للذات. لا يمكن أن يكون هذا طريقًا يطلب الله المسير فيه. إن جميع الفضائل التي تتطلَّب إنكار الذات لا تدخل في خطة التبرير.

السورة ٣، ٥٥: سورة آل عمران

إذ قال الله يا عيسى إني مُتَوَفّيك ورافِعُك إليَّ ومُطَهّرُك مِن الذين كفروا وجاعلُ الذين اتَّبَعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة...

فهم يفهمون أن الله جعله يرتفع بدون أن يموت.

السورة ٣، ٤٥-٥١: سورة آل عُمران

إذ قالت المَلائِكةُ يا مَرْيَمُ إنَّ الله يُبَشِرُكِ بِكَلِمَة مِنْهُ اسْمُهُ المَسيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَجيهًا في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَمِن المُقَرَّبينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاس في المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحينَ. قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكونُ لي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ. قالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ، إذا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّما يَقولُ لَهُ كُنْ فَيَكونُ، وَيُعَلِّمُهُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ والتَّوراة وَالإِنْجيلَ، وَرُسولاً إِلَى بَني إِسرائيل. أني قَدْ جِئْتُكُم بِآية مِنْ رَبِّكم أَنّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ فَأَنفُخُ فيه فَيكونُ طَيرًا بإذنِ اللهِ، وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وأُحْيي المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ، وَأُنَبِّئُكُم بِما تَأكُلون وَما تَدَّخِرونَ في بُيوتِكُم، إِنَّ في ذَلِكَ لآيَة لَكُمْ إن كُنتُم مُؤْمنينَ، وَمُصدِّقًا لِما بَيْنَ يدَيَّ مِنَ التَّوراة وَلأُحِلَّ لَكُم بَعضَ الَّذي حُرِّمَ عَلَيكُم، وَجِئْتُكُم بِآيَة مِن رَبِّكُم فاتَّقوا اللهَ وَأَطيعوني. إِنَّ اللهَ رَبّي وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ. هَذا صِراطٌ مُسْتَقيمٌ.

وكما كان القديس بولس يُوبّخ المسيحيين الأوائل لكي لا يَخلِطوا بين الإفخارستية والولائِم، فالغالب أنَّ هذا الإفراط أو سوء الاستخدام كان موجودًا لدى الشِّيَعِ اليهودية – المسيحية التي كانت تسكن في شِبهِ الجزيرة العربية. مِن هُنا يأتي الإلتباس الموجود في القرآن (سورة المائدة).

وحَول دعوة المسيحيين ليسوع بِابنِ الله يقول المسلمون: أيُمكِن لله أن يتَّخذ ولدًا؟ هل يمكن أن يكون يسوع نفسه قد قبِل أن يكون ابنًا لله؟ لقد وُلد بدون تَدَخُّل مِن رجل لأن الله قادرٌ أيضًا على قَلْبِ قوانين الطبيعة ويمكنه أن يخلق ما يشاء كيفما يشاء. ولكن هذا لا يجعل يسوع ابنًا للهِ ولا أن يشترك معه بأيَّةِ طريقة في الطبيعة الإلهيةِ أكثر ما كان عليه آدم. تعترف الكاتبة بأنه يوجد في القرآن نَفيٌ واضحٌ ومُتَكَرّرٌ لأُلوهيَّة يسوع. إذ أنَّه أَمَرَ هُو نَفسُهُ تلاميذَه بخدمة الله. إن مفهوم الإله الذي يَتَّخِذ وَلَدًا هو مفهومٌ يُنقِصُ من شأنِ الله، بعيدٌ عن الجلالة الإلهيَّة، وذلك نوعٌ من التجديف.

السورة ١٩، ٨٨- ٩٢: سورة مريم

وقالوا اتَّخذ الرَّحمانُ ولَدًا. لقد جِئْتُمْ شَيئًا إِدًّا تَكادُ السَّماواتُ يتفَطَّرْن منه وتَنشَقُّ الأرض وتخرُّ الجِبال هَدًّا أنْ دَعَوْا للرَّحمان ولدًا، وما يَنْبَغي للرَّحمان أن يتَّخذ وَلَدًا.

فهم يفهمون البُنُوَّة كشيءٍ على شاكِلةِ البَشَر، أي جَسَدِيّ. وذلك يشبه ما قلناه عن التبشير بالله. فكما أنه هناك التباس حول معرفة الله، بالتالي لا تُوجد أسماءٌ مناسبة لمعرفة الله إلاَّ ما أعلنه هو نفسه. وليست هناك

طريقة ولا بالتشبيه ولا بالمناظرة. اِتِّخاذُ وَلَدٍ هو شيءٌ بَشريٌّ، وبالتالي لا يمكن أن يُنسَب ذلك بأيَّةِ طريقة للهِ. فهم يفهمون ذلك بطريقة واحدة: النسل الجسدي.

فلا يوجد عندهم ما يعرف بـ "التوصيل بالمُصْطَلَحات"، فنحن عندما نقول مثلاً عن مريم أنها "أمُّ الله"، لا نقول ذلك لأن مريم قد وَلَدت الله الآب. لقد وَلَدت المسيح وبالتالي هي أمُّ المسيح، وكأقنوم هو ابن الله وبالتالي يمكن القول بحق أنها "أُمُّ ابن الله"، فهذا الفعل يُنسَب إلى شخصٍ (إلى الأقنوم). الأم لا تَلِد الطبيعة البشرية لكنها تَلِدُ شخصًا. هي ليست أمَّ الثالوث ولكنها أمُّ المسيح الذي هو الله. لقد أحضرت هي الطبيعة البشريَّة، وبكونها أمَّ شخصِ المسيح يمكن القول أنها أمُّ الله.

"مات الله على الصليب": لقد مات المسيح بِحُكم الطبيعة البشريَّة، ولكن هذه الطبيعة ليست موجودة في حالة مُنْفصلة بل هي موجودة داخل الشخص الإلهي والذي يموت هنا هو فاعلٌ. وبالتالي يمكننا أن نقول بِحقٍّ أنَّ "الله مات" (لأن المسيح الذي هو الله قد مات ولكنه استطاع أن يموت لكونِه بَشَرًا)، على الرغم من معرفتنا بَديهيًّا أن الله لم يَكُفَّ عن الوجود. فالوَحدة بين الأقانيم استَمَرَّت في الوجود. وجسد المسيح لم يصر جُثَّة لأن الكلمة استمرَّ متَّحِدًا بجسد وبنفس المسيح. لكنَّ الكلمة ماتَ في جسد المسيح.

مَوضعٌ آخرُ يَرِدُ فيه ذِكْرُ الأُلوهية هو:

السورة ٤، ١٧١: سورة النساء

يا أَهْلَ الكِتابِ لا تَغْلوا في دينكُم وَلا تَقولوا عَلَى الله إلاَّ الحَقَّ. إنَّما المَسيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلَى مَرْيَمَ وَروحٌ مِنْهُ، فَآمِنوا بِاللهِ ورُسُلِهِ ولا تَقولوا ثَلاثَةٌ. انْتَهوا خَيْرًا لَكُم، إنَّما اللهُ إلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أن يَكون لَهُ وَلَدٌ. له ما في السَّماواتِ وَما في الأَرْضِ، وَكَفَى بالله وَكيلاً.

يَعتقدون أَيضًا بأنَّ المسيح تنبَّأ بمجيء محمد:

السورة ٦١، ٦: سورة الصَّف

وإذ قال عيسى بنُ مريمَ: يا بَني إسْرائيل إني رَسولُ الله إِلَيْكم مُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَديَّ مِن التَّوْراة وَمُبَشِرًا بِرَسولٍ يَأتي مِن بَعْدي اسْمُهُ "أَحْمَدُ". فَلَمَّا جاءَهُم بالبَيِّنات قالوا هَذا سِحْرٌ مُبينٌ.

وهو اسم من نفس جِذر كلمة محمد.

أَحْمَد – مُحَمَّد – ح م د

وهم يستندون على تفسير ليوحنا ٢٦/١٥ حيث يَعِدُ بالـ "براقليط"، وهي كلمة يونانية (para-cletos) تعني: المُعَزِّي. ولكي يُترجموها إلى أحمد (سامٍ جدًّا أو محمود جدًّا) فهم يستندون إلى التعبير اليوناني "periclitos".

فبجانب استخدام جذرٍ مختلفٍ هناك أداة مختلفة تمامًا في البداية (peri بدلا مِن para)؛ وهذا مختلف تمامًا ويخضع لنظامِ اشتقاقٍ مختلفٍ للكلمات. كما لا يوجد أيُّ نصٍّ آخر، أو أيَّةُ ترجمة أخرى، تُقَدِّم اختلافًا نقديًّا لِلاسم. يوجد فقط تشابهٌ صَوْتِيٌّ. كما أن يسوع لم يكن يتكلم اليونانية؛ وذلك شيء مكتوب باليونانية. إن الوعد

بالبراقليط أُعطَى في العشاء الأخير حيث كان يتكلم باللغة الأرامية - وذلك شيء بديهي - ولا يوجد أيُّ تشابه بين هاتين الكلمتين بالآرامية.

ويقولون أن هناك مقطعًا آخر يُعلَن فيه عن هذا الإرسال في تثنية ١٨/١٨: "سأُقيمُ لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلَك". وهم يَنسِبون ذلك لمحمد.

بعضُ المعايير التي تُحَدِّد مَن هو المُرسَل الحقيقي مِن الله:

- الشخص الذي يتلقَّى إعلانًا إلهيًّا يجب أن يكون معروفًا كفرد ذي شخصية وأخلاق نزيهة لا تَشوبُها أيَّة شائبة؛ وأن يكون له مصداقية تامة.
- وكلمة الكتاب يجب أن تُقَدَّم بدون أدنى تغيير، فحتى الذي أُعطِيت له لا يَحِقُّ له أن يُدخِل أيَّ تغيير.
- وأن تكون الرسالة التي يأتي بها متماسكة وليس بها أيُّ تناقُض.
- لا يجب أن تحتوي على أي شيء يناقض ما هو مُتَّبَعٌ في العالم الطبيعي.
- يجب أن تكون معقولة بالنسبة للعقل البشريّ.
- يجب أن تمنح إرشادًا روحيًّا وأخلاقيًّا على أعلى درجة.
- لا يجب أن يُعلِّم أو يَنسِب إلى الله أيَّ شيء يناقض وَحدانيتهُ، ولا أن ينسِب إليه أيَّة صفة خاصة بالكائنات المخلوقة.
- يجب أن ترفض بشدة أن يُعبَد أو يُطاع آخرُ سوى الله.
- يجب أن تُعظِّم مِن شأن الأُخُوَّة والمساواة بين البَشَر.
- لا يمكنها أن أن تَنسِب إلى مَن اختارهم الله ليقودوا شعبه أيَّة خطايا أو رذائل.
- يجب أن تكون مكتوبة بلغة فصيحة وسامية.
- يجب أن تحتوي على معلومات يمكن التَّحقُّق منها ولم تكن مَعروفة لأحدٍ غير الخالق.

تلك كانت القواعد التي يُتَعَرَّف مِن خلالها على *رَسولٍ* ما؛ ولكنها تَفترض مُسبَقًا وجود المفهوم الإسلامي لما يُسمُّونه الإعلان الإلهي (الوحي).

وتقول الكاتبة نفسها أن محمدًا، على الرغم مِن إمكانية معرفته ولو فكرةً ما حول تعاليم المسيحية واليهودية، إلا أنها معرفة سطحية؛ وتؤكِّد أنَّه تَلَقَّى كلَّ شيءٍ مِن الله. ولكن نفس الحُجَّة يمكن استخدامُها في الاتِّجاه العكسيّ: إن تلك المعرفة السطحيَّة، والمحتوية على لَبْسٍ عن المسيحية وعن اليهودية، هي بالضَّبط التي حَملت محمدًا على نَسْب أشياءَ لِتلك الإعلانات غير موجودة أصلاً.

إن عُمقًا وتفصيلاً بهذه الدرجة لم يكن لِيفكِّرَ فيه أحدٌ ما لم تكن لديه استنارة إلهية. وهكذا يزعمون إثبات الصبغة الإلهية للوحي. فحتى لو قبلنا لِلَحظة إمكانية أن يكون محمدًا هو الذي كَوَّن القرآن، فسيبقى بدون

تفسير كيف عُرِفَت موادُّ عديدة ومختلفة في القرآن، وذلك شيء مستحيل لرجل في ذاك الزمان. كيف يكون بهذا القدر من السمو والتماسك؟ وكيف يخلو من أيِّ تناقض ويكون على هذا القدر من الإقناع.

لقد كانت هناك اتهامات، حتى في عصره، بأنه كان يحتوي على مادة شِعرية:

السورة ٦٩، ٣٨-٤١: سورة الحاقَّة

فَلاَ أُقْسِمُ بِما تُبصِرونَ وَما لاَ تُبْصِرونَ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسولٍ كَريمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَليلاً ما تُؤْمِنونَ.

وهو يُدين الشعراء نوعًا ما:

السورة ٢٦، ٢٢٤-٢٢٦: سورة الشعراء

والشعراء يَتبعُهم الغاوون. ألم تَرَ أنهم في كلِّ وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون؟

٥- اليوم الآخر (المستقبل، الأشياء الآتية)

الإيمان بما سيأتي يعني:

* يومَ الدينونة
* قيامةَ الجسد
* السماءَ وَجَهنَّم.

وهذا بندٌ أساسيٌّ في الإيمان الإسلامي. ويتمُّ التدقيق الشديد فيه على قيامة الجسد.

السورة ٤١، ٣٩: سورة فَصِّلَت

ومِن آياتِهِ أَنَّكَ تَرى الأَرْض خاشِعَةً، فَإِذا أَنْزَلنا عَلَيْها الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ. إِنَّ الَّذي أَحْياها لَمُحْيي المَوْتى، إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدير.

السورة ٢٢، ٥: سورة الحَج

يا أَيُّها النَّاس، إِن كُنتُم في رَيْبٍ مِنْ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُم مِن تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُضغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ...

فالإسلام يُشَدِّد كثيرًا على سُمُوِّ الله وقدرته الفائقة. فالإنسان يكون على الأرض كما لو كان في امتحان يستعد خلاله للحياة المستقبلة التي ستدوم إلى الأبد. وفي يوم الدينونة سيكون لِزامًا عليه أن يَمثُلَ أمام الله الذي سيرى نتيجة الامتحان، وسيسأله عما صنع خلال هذا الامتحان، وسيرى أعمال يديه. ستمتد نفسه ووجوده وستصاحبانه خلال حياته الأبدية. إن حالته هذه وأعماله هما اللتان ستحدِّدان مصيره النهائي.

ويحدِّد القرآن بأسلوب موهوب أحداث اليوم الأخير. ففي اليوم الذي يختاره الله سينتهي العالم بكارثة كونية رهيبة وسيكون يوم الدين. وستتَّحِد أجسادُ الموتَى بنفوسهم، بينما يموت الأحياء وينضموا لهذه الجماعة.

السورة ٨٤، ١-١٩: سورة الانشقاق

إذا السَّماء انشَقَّت وَأَذِنَت لِرَبِّها وَحُقَّت، وَإِذا الأَرضُ مُدَّتْ وَأَلْقَت ما فيها وَتَخَلَّت وَأَذِنَت لِرَبِّها وَحُقَّت. يا أَيُّها الإِنسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقيهِ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمينِهِ فَسَوفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرورًا، وَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ وراءَ ظَهرِهِ فَسَوْفَ يَدْعوا ثُبورًا وَيَصْلى سَعيرًا، إِنَّه كانَ في أَهْلِهِ مَسْرورًا، إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَنْ يُحورَ. بَلى إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصيرًا، فَلا أُقسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ وَالقَمَرِ إِذا اتَّسَقَ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ.

أولئك الذين أنكروا الله ورذلوا مُرشِدَه، وأولئك الذين عبدوا آلهة أخرى وعملوا السيئات سيُطرحون في هُوَّة سَحيقة. وسيُبعَد زملاؤهُم مثلَهم تمامًا عن الله. وسيكونون في حالة عذاب دائم واحتضار لا راحة منه. فجَهنَّم ستكون تلك الحالة من الاحتضار الشديد بلا راحة مع أَبْشع صُحبة. ولكن أسوأ شيء في ذلك سيكون المعرفة الرهيبة بإن ذاك هو العِقاب الذي استحقُّوه والذي جَلَبوه هم أنفسهم برَذلِهم لله ولإرشاده الذي أَوصَى به بواسطة رسوله.

هذا ما سَيُشَكِّل العقوبة الرئيسية: معرفةُ أن ذاك عقاب مُستحَقٌّ.

أما بالنسبة لنا على العكس فإن عُقوبة جَهنَّم الرئيسية تتمثَّل في ما يُسَمَّى بـ*عُقوبة الضَّرَر*: أي الغياب والانفصال التَّام والنهائي عن الله؛ حيث أن النفس خُلِقت من أجل الله. فالإرادة تبحث من تِلقاء نفسها وبطريقة طبيعية عن الله، على الرغم من أنها، بسبب عيبٍ ناتج عَن الحُرية، يكون لديها الإمكانية أن ترفضه. والإرادة النهائية تكمُن في القَبول أو الرفض المُختار بحرية؛ ولذلك فإن الإرادة لَدَى الشخص المُدان ترفض الله بحريَّة وإلى الأبد، بينما طبيعتُه تستمر في التعلُّق بالله لأنها كانت قد خُلِقَت مِن أجله. ذلك الصِّراع هو ما يُشَكِّل عقوبة الضرر. إذ أنَّ هذا الرفض – المختارَ بحُرية – هو ضد الطبيعة.

وهم على العكس من ذلك، يُدَقِّقون على أن الأكثر إيلامًا سيكون المعرفة بإنهم قد استَحقُّوا هذا المصير. ويصفون أيضًا عقوبات أخرى تشبه العقوبات المعروفة في التقليد المسيحي باسم *عقوبات الشعور*. بالنسبة لهم، إن رفض حب الله ليس هو المهم، بل الأهم هو المصير المُستَحقُّ بسبب الأعمال السيئة، وهذا يُمَثِّل عقابًا في حَدِّ ذاته. سوف نرى موضوع الحرية، فهذا هو المفتاح لفهم ذلك. فالحرية ليست كمالاً بالنسبة لهم. فالملاك هو أكثر كمالاً ولكنهم يُجرَّدُونه بوضوح مِن الحريَّة، لأن الملائكة تختار دائمًا الله. وفي الواقع فإن اختيار الله دائمًا (كما في حالة الملائكة والقدِّيسين) في التقليد المسيحي هو بالضبط ما يعني عدم النقص في الحريَّة. فبسبب أنَّ الحريَّة تُمارَس بالكامل فإنهم يختارون الله دائمًا لأنه الخير الأعظم. إن إمكانية اقتراف الخطيئة هي عدم كمال من الحرية.

يوم الدينونة يُسَمَّى عندهم: *يَوْم القيامة* أو *يوم الدين*.

٤- الأوامر الإلهيَّة

السورة ٣٥، ٢: سورة الملائكة

ما يفتحِ اللهُ للناس مِن رحمة فلا مُمْسِكَ لها، وما يُمسِكْ فلا مُرسِلَ له مِن بعده، وهو العزيز الحكيم.

السورة ٥٧، ٢٢: سورة الحديد

ما أصاب مِن مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتابٍ[٥] مِن قبلِ أن نَبرأَها، إن ذلك على الله يَسير.

إن آخر بُنود الإيمان الإسلامي هو *الإيمان بالأمر الإلهي*، والذي يُعرف باللغة العربية باسم *القضاء والقدر* والذي يعني "المِقياس" الذي يَتِمُّ به ما أمر به الله بحسب خطّته.

وبما أَنَّ مِنهاج وخِطَّة الخليقة هي تحت قيادة وتَحَكُّم الخالق الكلي القدرة وضابط الكل، فإن كلَّ شيءٍ يحدث في الكون - بَدءًا بأصغرِ حدثٍ حتى أعظمِها وأغربِها – يكون تحت حكم المشيئة الإلَهيَّة وجزءًا متكامِلاً من خِطَّتِه الأزلية. لا يمكن أن يحدث شيءٌ إذا لم يأمر به هو، فلا شيء يمكن أن يحدث فُجائيًّا أو بالصدفة.

تحاول الكاتبة انتقاد العقلية الحديثة حيث يميل الإنسان إلى تَخَيُّل إمكانية ظهور الله كمُجرَّد خرافة، مؤكِّدًا أَنَّه – في أفضل الأحوال – "لا يتدخل في مشاغِل البشر"؛ وهذه هي نفس الحُجَّة – بحسب الكاتبة – التي اسْتُخدِمَت منذ بداية الأزمنة لِتبرير المعصية البشرية لِكلمة الأنبياء وللحياة الأبدية، إلخ. أما المسلم، فهو على العكس، يكون موْقِنًا تمامًا أن الله هو حقيقي بطريقة مُطلقة، وأنَّه ناشطٌ باستمرار في خليقته بما فيها عالم البشر. فكل ما هو موجود بالتالي هو تعبير عن مشيئته، بدءًا بأصغر ذرة حتى أعظم أحداث التاريخ البشري، وكذلك الأحداث ذات البُعد الكوني. فكلُّ شيءٍ مُحدَّدٌ بِإذْنِه وبِأمرِه. وكلُّ شيء في الحياة البَشريَّة – سواء في اللحظات السهلة كما في الآلام أو في الأحداث المتسببة فيه – له هدفٌ وله معنى، ويُشكِّل كذلك جزءًا مِن خطة الله ذات الحكمة اللاَّمتناهية مِن أجل خليقتِهِ. إن هذا الاعتقاد يوّلد لدى المُسْلِم درجة عالية جدًّا مِن **التأَكُّد الداخلي**، والثقة والسلام في القلب، خصوصًا وقت الشدائد، لأنه – أيْ المسلم – يعرف أن كُلَّ شيءٍ يخضع لسيطرة الله الحكيم والرَّؤوف.

وتؤكِّد الكاتبة أن ذاك التأكُّد لا يؤدي إلى السلبية ولا القَدَرِيَّة، بل إنَّ الإسلام يُعلِّم أيضًا أن واجب الإنسان هو أن يقوم بجهدٍ أمينٍ وأن يحاول أن يعمل أفضل ما في وُسْعِه، وليس - كما يؤكِّد البعض أحيانًا – أن يجلس وينتظر باستسلام حدوث الأشياء: "لأنَّ الإنسان لا يعرف ولا يستطيع أن يعرف إلى أين يسير مَصيرُه؛ وإلى أن يستنفِد كل الوسائل الممكنة، فيحدث ما لا مَفَرَّ منه، فإنَّه لا يمكنه القول أنه وَجَد أوعَرَف مَصيره". ولكن كلَّ شيءٍ يقرّره الله، وكذلك كلُّ ما يحدث بعد أن تكون الجهود كلُّها قد بُذِلت، يجب أن تُستقبل بصبر وتسليم من يد ذاك الذي قرَّر أن يبعث بها بحكمته الامتناهية.

وتبعًا لذلك فإن الكاتبة تؤكِّد أنَّ هناك شكلان فقط مقبولان منطقيًّا لتفسير الكون وما يحدث منه. فإمَّا أن يكون كلُّ شيء نتيجة الحظِّ أو التفاعلات السَّببيَّة (تَجَمُّع عارض للظروف، حيث يُعْتَبَر أيضًا كلُّ شخص آت إلى العالم نتيجة خليط فجائي بالصدفة لمجموعة مِن الكروموزومات وتركيبات الخلايا وتربيطات عصبية وعمليات بيوكيميائية)، أو أن يكون كلُّ ما يحدث نتيجةً *لإرادة وخطة وقرار من قدرةٍ حرة*. فلا يحدث شيء خارج عن إذنه وأمره، حتَّى أعمالُ البشر. ولكن كيف يمكن أن نفهم ذلك أمام الكوارث الطبيعية أو المصائب الغير متوقَّعة

٥- يُشير بالفعل إلى كتاب الأوامر الإلهية الموجودة في السماء، بحسب التفسير الأكثر شُيوعًا.

والمآسي البشريَّة، والتي تبدو كما لو كانت تمارس عنفًا على هذا المفهوم؟ هنا أيضًا يظهر المفهومان السابق ذكرُهما، ويبدو أن المفهوم الثاني هو فقط مقبولٌ.

من الواضح، مِن جهة أخرى، أنَّ الإنسان قد مُنِحَ *حريةَ الاختيار وحرية الفعل*[٦]. ألا يعني ذلك، بدرجة ما، أن الإنسان ليس تابعًا لأحد وأنه مسؤول عن أعماله الذاتية؟ وكيف يَحِلُّ الإسلام المشكلة المزمنة *للإرادة الإلهيَّة من حيث علاقتها بِحرية الفعل البشري*؟

يُشدِّد الإسلام كثيرًا على الفِعْل، فَيَحُثُّ المسلمين بِاستمرار على محاولة بذل المجهود والتوصُّل إلى أفضل ما في أنفسهم. فبدون العمل والمجهود لا يمكن التوصُّل أو الحصول على أيِّ شيءٍ. ولكن في الوقت نفسه فإنَّ الفعل والمجهود لا يضمنان بالضرورة النتيجة التي يرغب المرءُ فيها: وهكذا مثلاً، فأنا أَتَّخذ قرارًا وأنا أفعل؛ فأنا حُرٌّ إلى حدٍ ما ، في حُدود مَجال الأشياء التي يمكنني أن أفعلها وتبعًا للقدرة التي يملكها فعلي هذا. ولكن ماذا عن نتيجة قراري أو عملي أو اختياري؟ هل يمكنني أن أضمنَها؟ كَلاَّ بالتأكيد، ومِن المؤكَّد أيضًا أنه في مرات كثيرة لا يؤدي الفعل الشخصي إلى النتيجة المُرتقبة: أنا يُمكنني أن أختار أن أنهض مِن على الكرسي، أو أن أذهب إلى العمل بالسيارة، أو أن أتزوَّج أو أن أتَّخذ عملاً جديدًا، أو أن أخترع غوَّاصة نوويَّة أو طائرة بُوِينْجْ أو أن أذهب إلى القمر؛ فيُمكنني أن أفعل كلَّ هذه الأشياء فيما يَخُصَّني أنا أو بحسب مشاركة عوامل أخرى وبحسب التكنولوجيا. ولكن، كيف يكون من الممكن أنني لا أَتَحَكَّم في كلِّ هذه الأشياء وأنها لن تعطي النتيجة المُرتقبة؟ كيف ومتى يدخل الله في هذا المُخطَّط أو المنهاج؟

في كلِّ تلك الأشياء السابقِ ذكرُها تكون درجة المجهود المستخدم فِعلاً على عِلاقة وثيقة بِإمكانية الحصول على النتيجة، ومع ذلك فإن هذه النتيجة يُمكنها أن تصير مختلفة اختلافًا غير قليل مع المُتَوَقَّع (أنا أُقرِّرُ مثلاً القيام من على الكرسي - وهو شيء قد فعلته مِن قبل مِئات الآلاف مِن المرات -، ولكن في هذه المرة أقع بفعل أزمة قلبيَّة؛ أو يكون عليَّ أن أترك منزلي لأذهب للعمل ولكن في هذه المرَّة يمنعني حادثٌ مِن الوصول؛ أو أكون على وشك الانطلاق في داخل صاروخ فضائي ولكن شيئًا ما لا يسير على ما يرام فيحترق قبل انطلاقه؛ وهكذا على التَّوالي...

ترى الكاتبة في الإسلام وجودَ وِجهة النظر السليمة فيما يختصُّ **بِحرِيَّة الاختياروالفعل البشري** بالإضافة إلى **حدود مقدرته على السيطرة على الأحداث**. فالإسلام يؤكِّد أن كلَّ شيء فَرْدِيٍّ موجود في الكون، وكذلك كلَّ ذَرَّة من الخليقة، هي تابعة لله، ليس فقط فيما يتعلَّق بكيانِها بل أيضًا فيما يتعلَّق باستمراريتها ووظيفتها. ويتم التعبير عن هذه الحالة من التَّبَعِيَّة والمخلوقية مِن الله في اللغة العربية بواسطة كلمة *عُبودية* (من *عَبْد*، أيْ *خادم*)؛ أيْ حالة كون الشخص عبدًا للهِ، هو الذي يفعل به الله ما يحلو له لأنه مِلكٌ له وهو في تَبَعِيَّةٍ تامةٍ ويَخضع له تَمامًا. جزءٌ من حالة العبوديَّة يتمثَّل في تتميم المهمة البشرية، ألا وهي الاختيار أو الرغبة أو التصرُّف أو محاولة عمل أفضل ما لديها، ولكن الله هو يُحَدِّد نتيجة تلك المحاولة على حسب ما حدَّده هو. *فالمؤمن* هو مَن يعرف أنَّه تابع

٦- لا تؤكد المؤلِّفة إن كانت تلك معلومةً عن اختبار، أو غير ذلك. كما أنَّها لا تَوضِّح الطبيعة الحقيقية للحرية البشرية. عُمومًا لم يُوجَد في الإسلام فكرٌ إضافيٌّ حول هذا الموضوع؛ كان ذلك الفِكرُ مَلحوظًا في القرون الأولى، ثم انعدم تقريبًا ذلك. بل بالأحرى يبدو أنَّ الحرية تُفهَم على أنَّها المقدرة على اختيارٍ بين أشياء متفرِّدة.

للهِ تمامًا فيما يتعلَّق *بنتيجة أفعاله*، مدركًا أنَّ لا شيءَ يمكن أن يحدث له ويكون نتيجة حظ أو مصادفة أو يكون عارِضًا، بل كلَّ شيءٍ يكون له غاية ومعنى لدى الله.

المشكلة في هذه الرؤية لا تَكْمُن في الاعتبار التَّقَوِيّ والتأكد بأنَّ الله يُسيطِر على كلِّ شيءٍ (وذاك شيءٌ حقيقيٌّ وينتمي إلى الصِّفة الإلهية المسمَّاة بالعناية الإلهية)، بل تكمن في *اعتبار الفعل البشري نفسه*. فبحسب هذا المفهوم - المُنتشر بكثرة في العالم الإسلامي - يكون الإنسان غيرَ مسؤول بالكامل عن فعله، وذلك لسبب بسيط يتمثَّل في أنه لا يُكَمِّل ذلك الفعل، حيث أنَّ النتيجة (وهي جزء من الفعل نفسه) يضعها الله. وهذا يُجرِّد الفعل نفسه من أهمِّيته، وكذلك طريقة عمله، حتى ولو نفَت الكاتبة ذلك؛ إذ أنني لا أكون أنا مَن يحصل على النتيجة، بل إن ذلك لا يعتمد عَلَيَّ إطلاقًا. هذه هي عقلية الـ "إن شاء الله"، حين تتحوَّل إلى أسلوب تفكير. كما أنها لا تخلو من التَّناقُض مع المنطق، لأنَّ الكائن البشري يكون قادرًا على بدء فعل ولكنه عاجزٌ عن إنهائِهِ. إن الأمثلة المخفَّفة التي تسوقها الكاتبة لا تُثبِت هذه النظريَّة، حيث أنَّ السبب في كونِ الفعل قد لا يحقِّق أحيانًا النتيجة المترتّبة عليه لا يَكْمُن في عيبٍ في الفعل نفسه، إنَّما في تداخُل أفعالٍ أُخرَى، قاطعةً الطريق أمام ذاك الفعل فتقف حائلاً أمام نتيجته.

أَمَّا في المفهوم المسيحي والأكويني [٧]، فهناك تأكيد على أنَّ "الله هو الفاعل في كل ما يَفعل" (في كلِّ مخلوقٍ عاقلٍ أو غير عاقل، حُرٍّ أو لا)، ولكنه يفعله "على طريقة المخلوق"، بدون ممارسة أيِّ عنفٍ عليه وذلك من خلال إعانته لطبيعة هذا المخلوق. وهكذا فإن الأشياء التي تحدث لضرورةٍ ما (مثلاً أنَّ الشمس تُشرِق كلَّ يوم، أو أنَّ الأرض تدور حَوَل نفسها)، فإن الله يعمل بحسب طريقة عمل تلك المخلوقات؛ وبالنسبة للأشياء العارِضة (التي قد تحدث أو لا يحدث) فإن الله يعمل بحسب الطريقة عينها فيعمل أو لا يعمل بحسب ما إذا عَمِل الفاعل الخاص أو لم يعمل. بالنسبة للكائنات الحُرَّة (الملائكة والبشر) فإن الله يعمل مُحَرِّكًا الملاك أو الإنسان "بطريقة حُرَّة"، بحيث يمكننا القول بأن الله هو الذي يعمل كُلَّ شيء وأن الفاعل الثانوي هو الذي يفعل كذلك كُلَّ شيء. فالنتيجة هي كلها من الاِثنين، وهذه النتيجة يمكن شرحها بالكامل بإنها من عمل السبب الأولى (الذي هو الله) وليس بالكامل من عمل السبب الأدائي – الاِستخدامي - (الذي يُقصَد به المخلوق) الذي على الرغم من كونه سببًا حقيقيًّا، إلا أنه لم يكن ليعمل لو لم يَتَلَقَّ الدَّفعة المؤثرة من السبب الرئيسي.

٧- الخاص بالقديس توما الأكويني.

هذا الرسم التخطيطي بسيط جدًّا ولكنه يعطينا فكرة تقريبية عن اختلاف وِجهَي النظر. في الحالة الأولى يُنتِج الله مفعولاً فقط "بمناسبة" عمل الإنسان الذي ليست له أية عِلاقة بهذا العمل، كما أن المخلوق أيضًا لا يُسبب – بتاتًا – نتيجة عمله. ونجد، على العكس، في الحالة الثانية أن الله يعمل **في** المخلوق **وبواسطته، وبطريقة** المخلوق، بحيث أنَّه إذا لم يعمل هذا المخلوق فإن الفعل الملموس لن يَحدث، كما أن النتيجة لن تتحقَّق، على الأقل في هذه الحالة وبهذه الطريقة.

لقد قامت مدارسُ مختلفة في العالم الإسلامي فيما يتعلَّق بالتفسير الخاص بالفعل البشري، وخصوصًا في القرون الأولى. ولقد كان *المُعتزِلة* (وهو تعبير يُقصد به "المنفصلون") موالين لاستخدام العقل في عِلم الكلام (اللاهوت)، ولذلك دقَّقوا على سلطة الإنسان على عمله الذاتي، وكذلك على كونِه "يَخلق" هذا الفعل. أمَّا معارضوهم "*الأشعرّيون*" فإنهم خالفوا قليلاً تعليم رائدِهم (*الأشعري*) وتحَيَّزوا بالأكثر للعقيدة *الحَنبلية* (أحد الأكثر أُصوليّةً وأكثرهم تحديدًا) وذلك لكي يؤكِّدوا على أن الإنسان ليس خالقًا لفعله ولكنه "يكتسبه" لاحقًا.